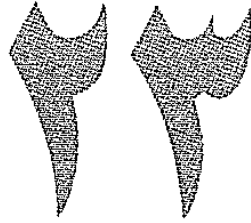


الدراسات والبحوث



■ من أعلام الأدب المهجري

أمين الريحاني (١٨٧٦ - ١٩٤٠)

* عبد النبي اصطياف

ولد «الرائد الأول للأدب المهجري» أمين الريحاني، أوفيلسوف الفريكة»^(١) كما أحب جورج صيدح أن يسميه، في قرية الفريكة اللبنانية في الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني/نوفمبر، عام ١٨٧٦م، وزار الولايات المتحدة الأمريكية أول مرة عام ١٨٨٨م، وأمضى سنته الأولى هناك في الدراسة في مدرسة خارج نيويورك قبل أن ينضم إلى العمل مع والده وعمه بالتجارة، كاتباً ومترجماً ومحاسباً في متجر والده في مانهاتن.

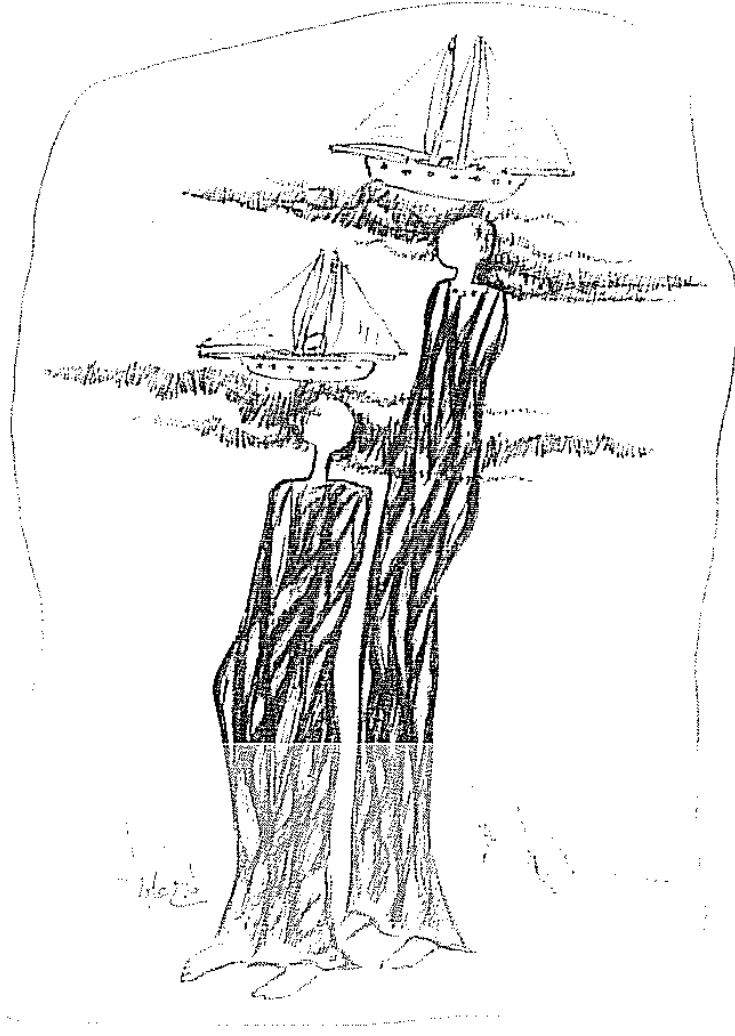
* أديب وناقد (سورية)

- العمل الفني: الفنان مطيع علي

واسعة في الوطن العربي زار فيها مصر وبغداد والقدس والأندلس وشمال إفريقيا والجزيرة العربية سجل فيها انطباعاته في سلسلة من كتب الرحلات الشائقة والمهمة في آن معاً والتي ما زالت تثير الاهتمام والجدل حتى يومنا هذا.

توزعت حياة الريحاني بين الوطن العربي والولايات المتحدة الأمريكية أنتج فيها الكثير من الكتب التي أراد من خلالها تحقيق نوع من المصالحة الثقافية بين الشرق والغرب فضلاً عن تجديد حياة الآداب العربية. كان الريحاني معنياً بالعمل العام في مجتمعه الأصلي وفي مجتمع المغترب. وكما أراد لمجتمعه العربي أن يتحرر وينهض وينتمي بحق إلى عصره، فإنه سعى في الوقت نفسه إلى إغناء الحياة الثقافية في مجتمع اغترابه. وقد كان بحق من أكبر الدعاة للوحدة العربية، ولذلك كان موضع تقدير واحترام أينما حل في الوطن العربي. فعلى سبيل المثال انتخب الريحاني عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وكان كذلك عضواً في جمعية الشعراء الأميركيين Poetry Society of America، ونادي الثريا Pleides Club، ومنتدى الصحافة النيويوركية، ونادي المؤلفين الأميركيين، والجمعية الشرقية الأمريكية، واختاره معهد الدراسات العربية في المغرب الإسباني رئيساً شرف له^(٢). كما

وخلال تلك الفترة اطلع الريحاني على أعمال كل من شكسبير وفيلسوف هوغو، ثم انصرف إلى قراءة كتابات داروين، وهوكسلي، وسبنسر، وويتمان، وتولستوي، وفولتير، وثورو، وإميرسون، وبايرون وغيرهم. وعندما بلغ السابعة عشرة من عمره انضم إلى فرقة مسرحية جواله يرأسها هنري جويت Henry Jewet الذي أسس لاحقاً مسرحه الخاص به في بوسطن، وأمضى معها ثلاثة أشهر متنقلاً بين الولايات الأمريكية المختلفة، وعلى الرغم من أن الريحاني اضطر إلى العودة إلى كنف والده، فإنه أصر على متابعة الدراسة في مدرسة مسائية في نيويورك حيث اجتاز امتحان Regents، ليلتحق بعدها بكلية نيويورك للحقوق The New York Law School عام ١٨٩٧. وفي عام ١٨٩٨ عاد الريحاني إلى لبنان لأسباب صحية حيث درّس اللغة الإنكليزية في مدرسة قرنة شهوان وسعى في الوقت نفسه إلى التمكن من اللغة العربية وتعرف أثناءها روائع الأدب العربي وبخاصة المعري، الذي رأى في شعره استباقاً لأفكار عمر الخيام في رباعياته، ولا سيما ديوانه اللزوميات الذي ترجم مختارات منه إلى الإنكليزية حملت عنوان رباعيات أبي العلاء Quatrains of Abul'l-Ala ونشرها عام (١٩٠٣). وقد دفعه اهتمامه بالتراث العربي إلى التفكير بالقيام برحلات



أنه غدا مسهماً منتظماً
للأسبوعية العربية
الهدى التي كانت
تصدر في نيويورك
عاصمة الأدب المهجري
الشمالي، والتي أسس
الريحاني فيها مع
جبران وآخرين الرابطة
القلمية عام ١٩١٦
وليس عام ١٩٢٠ كما
هو شائع بين دارسي
أدب المهجر الشمالي
(بدليلين: أولهما ظهور
عشرات المقالات مذيبة
بعبارة «عضو الرابطة
القلمية» في جريدتي
السائح ومرآة الغرب،
ومجلة الفنون، عام
١٩١٦، وكان من بينها
مقالة أمين الريحاني

ما هي وما غايتها، وكم عمرها، ومن هم
أعضاؤها... وغير ذلك من المسائل التي تتكرر
فيما يدعو نعيمة في كتابه جبران، وسبعون،
بالبيان التأسيسي للرابطة القلمية الصادر
عام ١٩٢٠ ونشرته السائح في العدد الصادر
في ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٢٠، مما يؤكد
أن نعيمة قد اقتبس الكثير من أمين مشرق،
فمضمون مقال الأخير مماثل لمضمون البيان

التي تحمل عنوان «بلادي» والتي ظهرت في
السائح في عدد ٢٥ أيار ١٩١٦، مذيبة بعبارة
«عضو الرابطة القلمية»: وثانيهما أن أمين
مشرق نشر مقالة طويلة بعنوان «الرابطة
القلمية» احتلت صفحة كاملة من جريدة
السائح الصادرة في ٢٩ يونيو (حزيران)
١٩١٦، تحدث فيه بإسهاب عن الرابطة:

أول مجموعة شعرية له بالإنكليزية بعنوان المر واللبان Myrtle & Myrrh احتفل مؤخراً بمرور مئة عام على ظهورها بصدر طبعة جديدة منها عن (دار بلاتفورم انترناشيونال في واشنطن العاصمة الأمريكية)، وذلك قبل أن يعود إلى لبنان عام ١٩٠٥ حيث أمضى ستة أعوام نشر في أثنائها مجموعتين من المقالات، وكتاباً من القصص الرمزية وبضع قصص قصيرة ومسرحيات. وفضلاً عن ذلك فقد حضر في الجامعة الأمريكية في بيروت وفي عدد من المؤسسات الأخرى في لبنان وفي مدينتي حمص ودمشق، وكان شغله الشاغل في تلك الفترة تحرير وطنه من الاحتلال العثماني إلى جانب مشاغله الكتابية التي توجهها بإنجازه الأدبي الأكبر كتاب خالد The Book of Khalid والذي ظهر بعد عودته إلى نيويورك عام ١٩١١ للمرة الثالثة، مزيناً برسوم جبران خليل جبران لتكون أول رواية تُولف بالإنكليزية من جانب كاتب عربي لبناني. وقد أقيم بهذه المناسبة حفل استقبال كبير حضره رئيس نادي الثريا في نيويورك الذي تسوج الريحاني بإكليل الغار تقديراً لإنجازه الأدبي الكبير.

تزوج الريحاني عام ١٩١٦ من بيرتا كيس Bertha Case، وهي فنانة تشكيلية أمريكية معروفة، كانت عضواً في جماعة ماتيس، وبيكاسو، وسيزان، وديرين، التي كانت تعمل

التأسيسي في عناوينه وخطوطه الرئيسية، فيما يؤكد جان الداية الذي تيسر له مقارنة النصين بعد مراجعته لأعداد جريدة السائح وغيرها من دوريات الأدب المهجري في أميركا الشمالية) ولكن انشغال أعضائها بالعمل السياسي عبر «لجنة تحرير سورية وجبل لبنان» أدى إلى تعليق نشاطها، حتى إذا انتهت الحرب، وانتفى بنهايتها مبرر وجود الجمعية السياسية، استأنفت الرابطة القلمية نشاطها. وهكذا فإن أمين الريحاني، على خلاف ما يذكره ميخائيل نعيمة، مستشار الرابطة، في كتابه سبعون من أنه لم يكن من مؤسسيها وأنه لم ينتم إليها بعد التأسيس بسبب خلافه الحاد مع عميدها جبران خليل جبران^(٢)، غير أن من المؤكد أن الريحاني لم يكن موجوداً في نيويورك عند استئناف الرابطة نشاطها عام ١٩٢٠، إذ كان قد بدأ جولاته في الوطن العربي، داعياً إلى الوحدة العربية^(٤).

بدأ الريحاني النشر بالعربية عام ١٩٠١ عندما ظهر أول كتيب عربي له بعنوان «التساهل الديني» (فيلادلفيا، ١٩٠١)، أتبعه في العام التالي بالكتاب الثاني «نبذة في الثورة الفرنسية» (نيويورك، ١٩٠٢)، والكتاب الثالث «المحالفه الثلاثية في المملكة الحيوانية» (نيويورك، ١٩٠٣)، وظهر الكتاب الرابع المعنون بـ «المكاري والكاهن» (نيويورك، ١٩٠٤). وفي عام ١٩٠٥ ظهرت

والإنكليزية هي صانع الجزيرة العربية الحديثة أو ابن مسعود من الجزيرة العربية: شعبه وأرضه
 Maker of Modern Arabia or Ibn Saoud of Arabia: his people and his land (1928).

حول شواطئ الجزيرة العربية
 Around the Coasts of Arabia (1930)

، ذروة وصحراء عربيين
 Arabian Peak & Desert (1930)

، سجل فيها مشاهداته في رحلاته الثلاث إلى الجزيرة العربية، وكانت من بين أكثر الكتب مبيعاً في لندن، كما أفاد بذلك ناشره فيها. وألقى عدداً كبيراً من الخطب والمحاضرات في الوطن العربي وشرق الولايات المتحدة الأمريكية وغربها، فضلاً عن كندا، تناول فيها موضوعات مختلفة شملت الوطن العربي، والإصلاح الاجتماعي، والسياسة، والقومية العربية، والشرق والغرب، والشعر، والفلسفة.

أما السنوات الثمانية الأخيرة من حياته الحافلة فقد أمضاها في إنجاز بقية كتبه وهي أنتم الشعراء (١٩٣٣)، النكبات (١٩٢٨)، وفيصل الأول (١٩٣٤)، وفاء الزمن (١٩٣٥)، ذكرى جبران (١٩٣٢)، وغيرها مما صدر بعد وفاته مثل قلب لبنان (١٩٤٧)، سجل التوبة (١٩٥١)، المغرب الأقصى (١٩٥٢)، نور

وتعرض لوحاتها في باريس في صالون ماي Salon de Mai، وفي العام التالي لزوجاه زارا معاً البابا بينديكت الخامس عشر الذي كان مهتماً بإنهاء الحرب العالمية الأولى وإقامة سلام عادل بين الأطراف المتحاربة. وفي العام نفسه قابل الريحاني رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق تيودور روزفلت بشأن قضية فلسطين التي نافح عنها بمحاضراته وندواته ولقاءاته ومناظراته باذلاً جهوداً صادقة في الدفاع عن حقوق العرب فيها، واقترح على الحكومة الأميركية إنشاء وطن قومي لليهود في ولاية تكساس الواسعة الأطراف إن كان لا بد من وطن قومي لهم^(٥).

كَلَف الريحاني عام ١٩١٩ بتمثيل المصالح العربية في مؤتمر السلام في لاهاي، وكان العضو العربي الوحيد في مؤتمر خفض الأسلحة الذي انعقد عام ١٩٢١ في العاصمة الأميركية. وفي العام نفسه نشر الريحاني مجموعته الشعرية الثانية أغنية صوفية وقصائد أخرى A Chant of Mystics & Other Poems.

طُوّف الريحاني عام ١٩٢٢ في الجزيرة العربية والتقى حكامها جميعاً، وأمضى السنوات بين ١٩٢٤ و١٩٣٢ في كتابة عدة كتب بالعربية هي ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية (جزءان) (١٩٢٤)، تاريخ نجد الحديث (١٩٢٧)، قلب العراق (١٩٣٥)،

كتب خاصة وقفها عليه، أو في أعداد خاصة من مجلات مثل المكشوف وغيرها عنيت به، ومقالات تكاد لا تحصى موزعة على عدد كبير من الدوريات العربية، بل ثمة، إلى جانب ذلك، تراث حي خلفه الريحاني لا يزال يثير الإشكالات من ناحية، ويذكر بريادة الرجل في مجالات مختلفة من ناحية أخرى. وتتجلى هذه الريادة في ميادين عدة أهمها:

- الإنتاج الأدبي باللغة الإنكليزية الذي تابعه فيه جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وغيرهما من الأجيال اللاحقة من الكتاب العرب الذين أنتجوا روائع حديثة في مختلف الأجناس الأدبية، وبخاصة في الرواية والقصة القصيرة والمسرحية والشعر الغنائي والمقالة. فقد كتب الريحاني الشعر الغنائي، والمقالة، والرواية، وكتب الرحلة، باللغة الإنكليزية، وحققت بعض كتبه ولا سيما كتب الرحلة نجاحات منقطعة النظير.

- النشاط الأدبي الواسع الذي جعل منه قدوة للأجيال اللاحقة من المهاجرين أصحاب المواهب الذين أنتجوا أدباً غزيراً أسهم في تطوير الأدب العربي الحديث، بإطلاقه الثورة الرومننتية التي دعت: إلى ربط الأدب بقاطرة الحياة بدل الأنموذج الكلاسي القديم المتمثل بإنتاج العصر العباسي حتى القرن الخامس الهجري، وإلى الالتفات إلى العالم الداخلي للإنسان والإفصاح عن مشاعره

الأندلس (١٩٥٢) وتوطيد علاقاته بمختلف الشخصيات السياسية والفكرية والأدبية والفنية المعاصرة له، وقضى نحبه في الساعة الواحدة من الثالث عشر من أيلول عام ١٩٤٠ عن أربع وستين سنة حافلة بالعزم والحزم نتيجة حادث مؤسف ودفن في مدفن العائلة في الفريكة، أما زوجه برتا فقد قضت عام ١٩٧٠ عن عمر ناهز الواحدة والتسعين وأوصت بدفن رماد رفاتها إلى جانب زوجها الريحاني أديب العربية الأبرز في النصف الأول من القرن العشرين.

ولكن هل كانت وفاة الريحاني نهاية

لحضوره في الثقافة العربية الحديثة ؟

وماذا بقي أو يبقى من الرجل ؟

«ذكر الفتى عمره الثاني»، هذا ما قاله المتنبى، وبهذا المعنى فإن الريحاني لا يزال حياً يعيش عمره الثاني بيننا. قد يشير المرء في هذا الموضوع إلى جهود أخي أمين الريحاني ألبرت، صاحب دار الريحاني للنشر في بيروت، في تجديد ذكرى أخيه الكاتب، من خلال إصدار كتبه في طبعات جديدة وبحلة قشبية، فضلاً عن صدور أعماله العربية الكاملة في اثني عشر مجلداً من جانب المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام ١٩٦٨، ولكن ذكر الرجل أو عمره الثاني لا يقتصر على إعادة نشر كتبه ولا على ترجمتها إلى مختلف اللغات الحية (٦)، ولا على الدراسات التي تناولته في

بنحو خمسين عاماً، والتي تشكل أيضاً الرد الموضوعي على مدرسة الاستشراق الغربية المعادية للعرب. ويعتبر الباحث جشان أن الريحاني، بهذا المعنى، يرمز إلى حركة الاستشراق المناهض لأنه أول من كتب عن العرب بالإنكليزية ومن وجهة نظر عربية. وهو أول من طرح فكرة «جادة الرؤيا» The Path of Vision (١٩٢١)^(٨) بين الجامع والكنيسة، أو مدّ جسر الحوار بين الأديان والحضارات. ويعتبر كاتب المقال أن الريحاني في طليعة المفكرين العرب الذين تنبهوا لأهمية التعددية الحضارية وسعوا لبناء لغة أدبية إنسانية مشتركة، هي أول الغيث لأدب إنكليزي عربي المضمون، أو أدب عربي إنكليزي الأداء والإيصال يهدف إلى «تحالف الحضارات». فالريحاني، من هذا القبيل، هو أول المفكرين العرب الذين أدركوا معنى هذا النوع من الأدب ودوره الثقافي والفكري بين الأمم والشعوب^(٩).

ولعل أفضل ما يمكن أن يختم المرء به حديثه عن أمين الريحاني الشاعر البصير بحقائق الحياة والوجود، والخطيب المفوه الذي يشنّف آذان جمهوري الناطق بالعربية والإنكليزية، والرحالة الذي يعبر إلى «الآخر» ليفهمه ويكون لسانه الصادق في الإفصاح عن نفسه، والمترجم الذي أراد أن ينقل ثقافته إلى «الآخر»، والفيلسوف صاحب الرؤيا، والروائي،

بصدق وحساسية مرهفة، وإلى التوجه نحو الطبيعة واستلهاهما في كل ما يراه الإنسان من آراء في الحياة.

• كتابته الشعر المنشور أو قصيدة النثر في وقت مبكر جداً، إذ نشر أول قصائده بعنوان «الحياة والموت أو الخريف وغياب الشمس في لبنان» في مجلة الهلال (القاهرة) في تشرين الأول عام (١٩٠٥)، والسعي إلى ترسيخ مفهومه من خلال إنتاج رفيع المستوى فرض احترامه على القاصي والداني، وعمول بجدية منذ بداياته. ولهذا فإن الريحاني قد عد بحق أبا الشعر المنشور في العربية^(٧).

• انشغاله بمسألة الاستشراق في وقت مبكر جداً، كما أشار إلى ذلك مؤخراً مقال يحمل عنواناً موحياً هو «استشراق لبنان المنسي» "Lebanon's Forgotten Orientalism" نشره بول جشان Paul Jashan في مجلة «جغرافيا العالم العربي» Arab World Geographer (Spring & Summer ٢٠٠٥)، ويبين فيه أن الريحاني هو أول كاتب شرقي يتصدى لهذه المشكلة بتقديم أفكار تسهم في عقد المصالحة بين الشرق والغرب، وتحديداً بين العالم العربي والغرب. وكتابات الريحاني في النصف الأول من القرن العشرين تشكل، فيما يرى بول جشان، الحركة الاستشراقية المناهضة الأولى التي سبقت محاولات إدوارد سعيد

فحسب، بل كان ذا أثر بعيد في خلق نعيمة لشخصية مرداده العظيم. كان الريحاني أستاذ جيل نمت مواهبه في المهجر، وأقر جبران بذلك حين أطلق على الريحاني لقب «المعلم». وبعد ذلك كان الريحاني رائداً لكل من كتب بالإنجليزية من العرب ولا إخالني مغالياً إذا قلت إنه كان أهم حافظ فكري أدبي اجتماعي حرك العقل العربي في الربع الأول من القرن الحالي فولد تفاعلاً خلاقاً في مجالات الأدب والاجتماع والسياسة والدين داخل لغة الضاد»^(١٠).

والقاص، والكاتب المسرحي، والمؤرخ، والمحلل السياسي، والمفكر الإصلاحية، ما دونه أحد أهم دارسيه ودارسي جبران خليل جبران وهو سهيل بشروني الذي كتب في القسم الذي خص به الريحاني من كتابه المختار، الأدب اللبناني بالإنجليزية:

«كان الريحاني أول عربي يكتب بالإنجليزية قصة وينظم بواسطتها شعراً، وكان له كتاب خالد الذي أعد رسومه جبران أعمق الأثر عليه، وفي رأبي أن «كتاب خالد» لم يكن مصدر الإلهام الأعظم لـ «نبي» جبران

الهوامش

١- انظر: الشرق الأوسط، الأربعاء ٧ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ، ٥ نيسان ٢٠٠٦ العدد ٩٩٩٠، وانظر كذلك مقالة سي نيلاند C. Nijland عن الرابطة القلمية في:

Encyclopedia of Arabic Literature
Edited by Julie Scott Meisami and Paul
Starkey

K-z, Routledge, London, ٢ Volume
and New York, ١٩٩٨, pp. ٦٤٣-٤٤٤,

والتي يشير فيها إلى بدايات استعمال اسم الرابطة القلمية من جانب الريحاني وجبران وسواه في جريدة السائح ومجلة الفنون يذيلون به إسهاماتهم في الدوريتين المذكورتين، منذ عام ١٩١٦.

٤- انظر:

الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي،
الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث،

١- انظر: جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، طبعة رابعة منقحة ومزيدة،

(مكتبة السائح، طرابلس لبنان، ١٩٩٩)، ص ٢٢٠.

٢- انظر:

يوسف أسعد داغر،

مصادر الدراسة الأدبية: الجزء الثاني، الفكر العربي الحديث في سير أعلامه-الراحلون (١٨٠٠-١٩٥٥)،

منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات الأدبية، بيروت، ١٩٨٢، ص ٣٩١ وما بعدها.

٣- انظر على أي حال:

جان دايه، «وثائق تثبت أن ميخائيل نعيمة زور التاريخ وشطب الريحاني من «الرابطة القلمية»: تسعون الجمعية الأدبية الأشهر في العالم العربي»

- ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة،
(مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١).
ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة،
(مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١)، ص
١٢٧.
٥- انظر:
جورج صيدح،
أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص ٢٢٣.
- ٦- أصدر مكتب الدراسات والأبحاث التابع لـ
مركز الريحاني في الفريكة، مسقط رأس
الريحاني، بمناسبة الاحتفال بإزاحة الستار
عن تمثاله في جامعة تافتس في بوسطن في
الأول من شهر كانون الأول عام ٢٠٠٤، نشرة
إحصائية حول انتشار إنتاج الريحاني في عدد
من اللغات العالمية، تبين أن الطبقات المتتالية
لأعمال الريحاني (٥٥ كتاباً بالعربية والإنكليزية)
قد بلغت ٢٥٧ طبعة صدرت في ٢٢ دولة منها
إسبانية وألمانية وأوكرانية وإيران وبريطانية
وبلغارية وجورجية وروسية والصين وفرنسة
وكندا ولبنان ومصر والمغرب والمملكة العربية
السعودية والهند والولايات المتحدة الأمريكية.
- وانظر على أي حال:
«أمين الريحاني مترجم إلى عدة لغات» د
الشرق الأوسط (لندن)، العدد ٩٤٩٦، السبت ٢٧
نوفمبر ٢٠٠٤.
٧- انظر:
الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي،
الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ص
١٢٣.
٨- انظر ترجمة له ظهرت عام ٢٠٠٠:
أمين الريحاني،
جادة الرؤيا: مقالات نقدية حول الشرق والغرب،
نقلها إلى العربية الدكتورة هنري ملكي وأنطوان
عميد،
(دار الساقى، لندن-بيروت، ٢٠٠٠).
٩- انظر:
المستقبل (بيروت)، السبت ٢٠ أيار ٢٠٠٦، العدد
٢٢٧٠، ثقافة وفنون، ص ٢٠.
١٠- انظر:
سهيل بشروني،
الأدب اللبناني بالإنجليزية
(المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠)،
ص ص ٧٦-٧٧.

